الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط
التاريخ : ٩ ابريل ٢٠٠٣

رأس الحية!

اتخذ صدام حسين مظهر اسامة بن لادن. وهذا ليس من باب المصادفة. فهو ليس ميتاً على نحو جلي، وليس حياً فعلاً، ولا يظهر الا في أشرطة فيديو تثير الشكوك، بينما يلوح طائفة من الاشباه بظلال مختلفة من صبغة الشعر وشوارب مختلفة على نحو مضحك، وحدقات عيون شاحبة للاتباع المخلصين في بغداد.

واسامة وصدام كلاهما، الآن، هارب من العقاب الاميركي. وكلاهما واجه انهيار تنظيمه، ولا يستطيع أي منهما ان يفعل ما هو اكثر من محاولة التحفيز على القيام بهجمات انتحارية وحرب عصابات ضد الولايات المتحدة وحلفائها.

في افغانستان عام 2001، ارتكب البيت الابيض خطأ تكتيكيا باعلان نيته القبض على اسامة بن لادن او قتله. وسرعان ما غير الاساس الذي استند اليه عندما اصبح انجاز ذلك صعباً، مدعياً ان قصده هو تحطيم «القاعدة» سواء بالقاء القبض على زعيمها او بدون ذلك. لكن هذه المرة قال وزير دفاع الولايات المتحدة دونالد رامسفيلد، والمخططون العسكريون في القيادة المركزية في قطر، بصوت عال، انه لا اهمية في الحرب، حقاً، لموضوع ما ان كان صدام حياً او ميتاً.

وشان معظم الانظمة الدكتاتورية - مما ترى زعماءها ببذلات عسكرية لا يستحقونها ابداً - هناك افتقار مميز للمهارة العسكرية عندما تواجه هذه الانظمة معارضة ابعد من حدود الانتفاضات المدنية. ولانهم ابعدوا منذ زمن طويل كل من يشك في ولائه، فان صدام وابنيه صاروا محاطين بضباط لا يدركون كيفية مواجهة الكثافة الهائلة لقوة النيران الاميركية.

وهكذا صار الحليف الوحيد لصدام هو الوقت، اي إبطاء تقدم الولايات المتحدة، وإذكاء نيران التعاطف والغضب في العالم الخارجي وهو يجابه قوة الولايات المتحدة الاميركية. ولذلك فقد تخلى جنوده عن الميناء الوحيد في ام قصر الذي كان الحلفاء بامس الحاجة اليه، وتركوا كل جسر على الفرات ودجلة سليماً للسيطرة عليه.

وكذلك فعلوا مع كل مهبط طائرات من الناصرية الى النجف وحتى مطار بغداد نفسه، الذي سقط بسرعة في ايدي التحالف.

لقد توجه الجزء الاعظم من الطاقة العسكرية لصدام وعائلته الى اقامة شبكات الخوف والسيطرة نزولاً حتى اعلى مستويات المجتمع العراقي الى ادناها. وأعد العراق، منذ زمن بعيد، للعنف ولكن ليس للحرب. ولم تات الولايات المتحدة باي مفاجات، ومع ذلك ظلت القوات العراقية تفاجا يوماً بعد آخر باسلحة الدروع والقوة الجوية.

وسواء كان صدام حياً ويدير العمليات ام لا، فان حرب العراق الدفاعية لا يمكن ان تدار على نحو اسوا مما اديرت به حتى الآن. ولكن مصير صدام الشخصي مهم الى درجة كبيرة بالنسبة للحصيلة السياسية لهذه الحرب.. فهو راس الحية. ونحن الآن نعيش في عصر حيث الولايات المتحدة وشركاؤها في التحالف لا يذهبون الى الحرب ضد الدول بحد ذاتها، بل ضد الانظمة، والزعماء المارقين، ومجرمي الحرب.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وفي السنوات الاربع عشرة الماضية قاتلت الولايات المتحدة على وجه التحديد تقريبا ضد جنرالات الحرب في الصومال، والزعماء المارقين في هايتي وبانامـا، والانظمـة المارقـة ومـجـرمي الحـرب في البـوسنة وكوسوفو وافغانستان. وفي كل هذه الحـالات لم تكن قـوة النيـران العسكرية بحد ذاتها كافية. وكان نفوذ السلطة الذي فرضه الزعماء والانظمة على اتباعهم هدفاً كبيراً شان القوات المسلحة نفسها.

والمشكلة التي تواجهها قوات التحـالف في العراق انه على الرغم من كل نجاحها العسكري المذهل، فان نفوذ صدام - شان نفوذ اسامة بن لادن - لم يافل بعد. وما تزال سمعته

كمـخلص اخـير - وهو في السلطة منذ عـام 1968، وخـسـر حـربين سـابقـتين كـبيرتين، وهو الزعيم المكروه اكثر من غيره في العالم العربي - ما تزال مؤثرة. والنزعة البعثية التي يمثلها هي مزيج من الماركسية الفجة ونوع من الفاشية اكـثـر فـجـاجـة، تتنكر في ازياء القـومـيـة العـربيـة. ومع ان معظم العراقيين لا ينخدعون بهذا، فهو ما يزال يمارس نفوذاً قوياً.

ولكن الى ان يعرض احد جسد صدام، حياً او ميتـاً بتلك الهيئـة الصحيحة من الشوارب، فان الزعيم العـراقي سيظل يتـمـتع بالهـيـمنة السـيـاسـيـة ان لم يكن العـسكرية، حتى وان كان ميتاً منذ اسبوعين. ان نفوذ صدام - شأن نفوذ بن لادن - لم يزو بعد.

مايكل كلارك*

«ايفننيغ ستاندارد» (لندن)

* مدير معهد السياسة الدولية في كلية كينغز كوليدج بلندن

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

DICTATOR TOPPLED: British troops used a tank to pull over a huge statue of

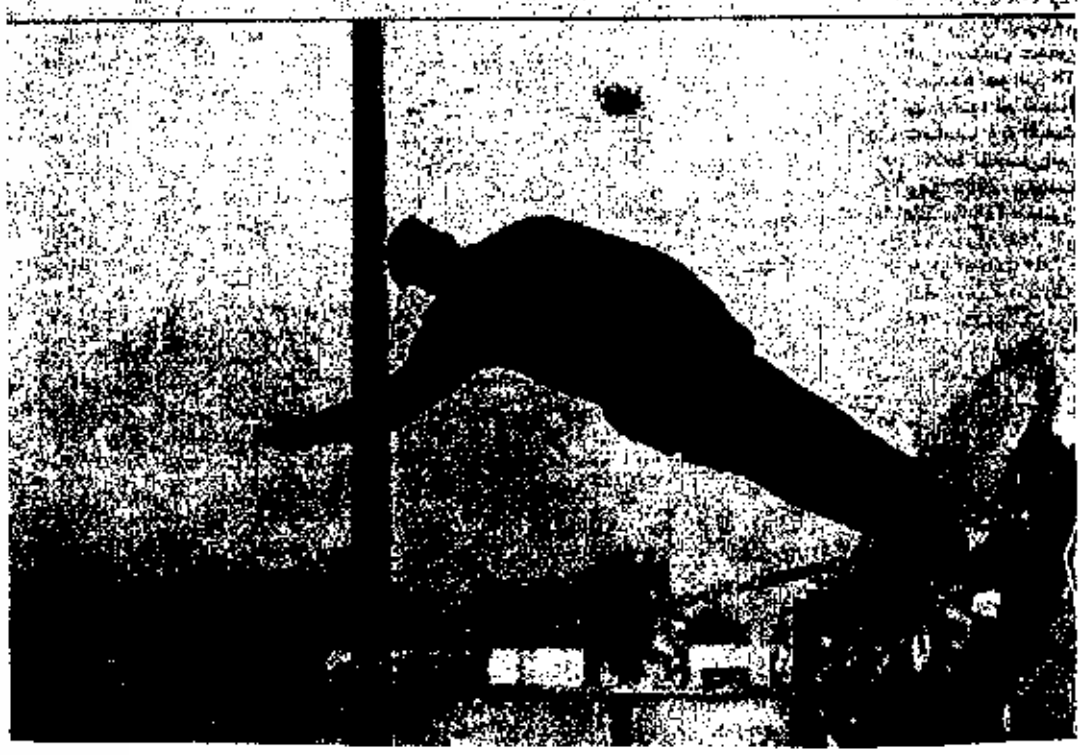

www.ethraadl.com